633479 ـ هل الإسناد العالي والنازل خاص بالأحاديث المرفوعة؟

السؤال

هل إطلاق عالٍ ونازل على إسناد يقتصر على أسانيد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أي إذا رويَ حديث بإسناد قلت رجاله عن تابعي هل أقول إسناد عالي، أم هذا التصنيف مقتصر على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم؟

ملخص الإجابة

العلو والنزول وصفان يتطرقان إلى كل إسناد اتصل برواية منقوصة الوسائط مقارنة بغيرها، فإن كان المنتهى رسول الله ﷺ فهو علو مطلق، وإن كان المنتهى صحابياً أو تابعياً أو إماماً فهو علو نسبي معتبر وصحيح الإطلاق عند سلف الأمة وخلفها .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

لا يقتصر إطلاق وصف العالي والنازل على الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحسب، بل هو اصطلاح عام يشمل كل إسناد قلّ رجاله، سواء انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى صحابي، أو إلى تابعي، أو إمام من أئمة الحديث المتبوعين.

وقد قسّم علماء الحديث العلو إلى قسمين رئيسين يتفرع عنهما خمسة أقسام مشهورة:

1. العلو المطلق: وهو القرب من النبي صلى الله عليه وسلم بقلة عدد الوسائط بإسناد صحيح نظيف، وهو أجلّ أنواع العلو وأشرفها (مثل الثلاثيات عند البخاري أو أحمد).

2. العلو النسبي: وهو القرب من غير النبي صلى الله عليه وسلم.

قال حرب بن إسماعيل: سئل أحمد (يعني ابن حنبل) عن الرجل يطلب الإسناد العالي؟ قال: "طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف؛ لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة، فيتعلمون من عمر ويسمون منه" أخرجه الخطيب في " الجامع " (رقم: 117) بإسناد لكتاب " العلل " للخلال، والذي يقول فيه: " حُدثت عن عبد العزيز بن جعفر ". والمقصود بعبْدِ الله في الرواية ابنُ مسعود.

فجعل سماع التابعي مباشرة من الصحابي بدلاً من الرواية عنه بواسطة داخلاً في طلب العلو المسنون.

وفي "مسألة العلو والنزول في الحديث لابن القيسراني" (ت 507هـ) (ص: 68) أوضح أن العلو يتناول الأسانيد إلى الأئمة والتابعين فقال:

"فهذا هو الحد في العلو إلى الإمام، وعلو الإمام إلى الصحابي، مع صحة سماع كل واحد من صاحبه.

وعلى هذا سائر الروايات إلى كل من روى عن متقدمي التابعين ومتأخريهم، فإن التابعين أيضا على طبقات عدة..." انتهى.

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله في ذكر مراتب العلو في الاقتراح (ص: 47): وثانيها: العلو إلى إمام من أئمة الحديث؛ كمالك، وسفيان، والليث، والأعمش، وغيرهم...

وفي فتح المغيث للسخاوي (3/ 342):

"(و) الثاني من الأقسام: علو نسبي، وهو (قسم القرب إلى إمام) من أئمة الحديث ذي صفة علية من حفظ وفقه وضبط ; كالأعمش، وابن جريج، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، والليث، ومالك، وابن عيينة، وهشيم، وغيرهم ممن حدث عن التابعين، وكذا ممن حدث عن غيرهم" انتهى.

وقد عد السيوطي، رحمه الله في جملة "علوم القرآن"، معرفة "العالي والنازل"، يعني من أسانيد إقرائه والروايات عن "المقرئين". قال:

«النوع الحادي والعشرون: في معرفة العالي والنازل من أسانيده

اعلم أن طلب علو الإسناد سنة فإنه قرب إلى الله تعالى وقد قسمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيتها تأتي هنا...» ثم سرد تفاصيلها. انظر: الإتقان في علوم القرآن (1/ 254).

وقال ابن عقيلة المكي الحنفي، رحمه الله: الزيادة والإحسان في علوم القرآن (3/ 84):

«النوع السادس والخمسون: علم إسناد القراءة، ومعرفة العالي والنازل من إسنادها.

لأن القراءة سنة متبعة، ونقل محض، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد، فبهذا توقفت معرفة هذا العلم عليه. وقد حدوه: بأنه الطريقة الموصلة للقرآن ... » ثم بسط الكلام على ما يتعلق بأسانيد الروايات والإقراء من ذلك.

والله أعلم.